Maalim
e-ISSN: 2600-6944 | p-ISSN: 2170-0052
Volume 17 Issue 2/ Décembre 2024 PP. 85-94

The beginnings of lexicographical composition among the Arabs

Agha yasser *
University Center Ahmed Salehi - Naama.
agha.yasser@cuniv-naama.dz

DOI:10.33705/1111-017-002-007

Received: 30/10/2024
Accepted: 10/12/2024
Published: 31/12/2024
***Corresponding Author**

Citation :
Agha,Y. (2024).
The beginnings of lexicographical composition among the Arabs
Maalim
I(2), 85-94

Abstract:

This research talks about the beginnings of lexical composition among the arabs ,as a stages in which the arab mind was developed and played an important role in preserving the language and knowing its semantic forms.it is unreasonable for the arabs to remain without a book that chronicles the words of this language,its connotations ,and the transformations that occured to it. from it came the idea of the research to address this topic and describe to us the first beginnings of this civilizational project, which is considred a scientific and cognitive legacy that worked to unify the arabic language.in this research,we addressed the concept of the dictionary and the beginnings of its composition in terms of the idea and method ,passing through its scientific reasons and functional dimensions.

Keywords: Dictionary; lexical composition; linguistic messages; functional dimensions.

Maalim
© 2024 The Author(s).
Published by the High council of the Arabic language.
This is an open access article under the CC BY license

Maalim
Volume 17 Issue 2/ Décembre 2024

أوّليات التأليف المُعجميّ عندَ العرب

د. ياسر أغا
المركز الجامعي أحمد صالحي - النعامة.

الملخّص:

يسعى هذا البحث إلى الكشف عن أوليّات التّأليف المُعجميّ عند العرب، بوصفها مرحلة شهد فيها العقل العربيّ نُضجا وتطوّرا لعب فيه دورا مهمّا في الحفاظ على اللّغة ومعرفة أشكالها الدّلاليّة، فمن غير المعقول أن يبقى العرب دون ديوان يوثّق ألفاظ هذه اللّغة ودلالاتها والتحوّلات الّتي طرأت عليها، ومنه جاءت فكرة البحث لتعالج هذا الموضوع وترصد لنا البدايات الأولى لهذا المُنجز الحضاري الّذي يُعدّ تُراثا علميّا ومعرفيّا أَسْهَمَ في توحيد الأمّة من خلال توحيد لغتها، تطرّقنا فيه إلى تحديد مفهوم المعجم، وبدايات التأليف فيه من حيث الفكرة والمنهج، مرورا بموجباته العلميّة وأسباب إنجازه وأبعاده الوظيفيّة.

الكلمات المفتاحية : المُعجم؛ التأليف المعجمي؛ الرّسائل اللّغوية؛ الأبعاد الوظيفيّة.

1. المقدّمة:

من أوجه العناية باللّغة بعد وضع قوانين أوليّة في شكلها المعياري مبدئيا، إقامة دواوين تحفظ الاستعمالَ الفصيح لهذه اللّغة وتجمعُ سَمْتَ وانتحاءَ العرب في كلامها نَظْماً ونثراً، ويُعدّ هذا الأمر خُطوة منهجيّة وضرورة علميّة بل واستشرافا معرفيّا، يُقيم للأمّة حضارتها ومجْدها وحضورها الثقافي بين الأمم السائدة والمُجاورة لها، ويُعدّ هذا الشّكل من إنتاج المعرفة العلميّة صناعة عُرفت بها الحضارة العربيّة ذلكَ أنّ "الصّناعةَ عندَ العرب مفهوم بتجاذبه العلم والعمل...، لذلك عدّها العربُ ملَكةً بصفتها نشاطا للنّفس النّاطقة، وَهُوَ المعنى الّذي وقفَ عليهِ الجرجاني عندما بيّن أنَّ الصّناعةَ ملكةٌ نفسانيّة تصدُر عن الأفعال الاختياريّة من غير رويّة. "[1] (سلوى النّجار 2010). ومعرفةُ دلالاتِ الألفاظ ومعانيها، لا يتأتى للباحث عن جوهرها إلّا باستقصائها من مضانّها، وواضعُ المعاني الاصطلاحية من جهة العُرف أو ما نُقل عن ألسنة أخرى، يجعلها في أبواب معروفة لديه تنتظم عبر مداخل مشروطة تتخذ في ذلك ترتيبا مُعيّنا وَهُو بذلك يؤلّف ما يُسمى (مُعْجَما)، وَهو "كتاب يضمّ ألفاظ اللّغة ليُزيلَ العُجْمةَ عنها، وعن ضبطها وطريقة نُطقها، وطريقة استخدامها، ويُبيّن معناها، فمهمّته البيان على أنّ هذه الألفاظ تندرجُ تحت ما يُسمّى المواد اللّغوية، الّتي تتّبعها مجموعة مِنَ الدّلالات الاشتقاقيّة "[2] (عيد محمّد الطّيب2007)، وإنّ المُتأمّل في السّياق الظَرفي الّذي وُجدت فيه مثل هذه المعاجم سيُدرك أنَّ القضيّة مُقترنة بأحد قوانين الوُجودِ عبرَ نِظام علاماتيّ والّذي هُوَ جُملة من المُواضعات، لا يصدرُ إلّا عن حكمةٍ مَردّها الإنسانُ العاقل في مُحاولته لكشف نسق الحدث اللّغوي، وما يُحيلُ إليهِ من دلالات تأليفيّة مُقترنة بمعرفة اللّغة ذلك أنَّ "البَحْثَ في قضيّة اللّغة، مهما كانَ منهجه ومرماه، يُحيلنا مُباشرة إلى مُشكل علاقة الإنسان بالظاهرة اللغوية في أصل اتّصالهِ بها ثمّ في مدى انحصاره فيها، والتراث العربيّ في منطوقه ومضمونه قد زخر بتساؤلات مبدئيّة تمحورت حول ديمومة لقاء الإنسان باللّغة منذ المُبتدأ، والتفكيرُ في هذا المشغل المُجرّد قد كانَ في تنوّعه وطرافته على قدرِ ما كان يُلابسه من مُضايقاتِ التناقُض الحتميّ في مُحاولة المفكّرينَ النّظرَ في علاقة الإنسان باللّغةِ، حيث كانُوا يُفكّرون في اللّغة وباللّغة في نفس الوقت، فالقضيّة المبدئيّة إذن تنحصرُ في موقف منهجيّ حاولَ فيه النّاظرون تأمّل هذا الإشكال ببعد فكريّ افترضوهُ والتزمُوه حيالَ اللّغة الّتي استحالت مادّة للفكر وموضوعا له "(عبد السلام المسدي 2018).

هذا المَنْظور الوجودي الّذي أتى على شكل تأمّلات للغة من حيث هي "أخاديد الفكر "على تعبير العالم اللّساني (سابير،sapir) وبوصفها حدثا كلاميا وأنظمة علاماتيّة مُقترنة بدلالات معيّنة موجودة لتأدية وظائف مُعيّنة، أوْقفَ العقل العربيّ في أوجّ عطائه الفكريّ وجعله ينظر إلى تحوّلات الظاهرة اللّغوية من فَرْدانيّتها إلى مُجتمعيّتها وهُوَ بذلك قد منحها أبعاداً مُؤسّساتيّة ومعرفيّة جعلَ منها أداةً فكريّة ومُحرّكا لسيرورته الثقافية عامةً والعلميّة خاصّة. ومثل هذه الرّؤية الاستشرافية نجدها مُتجسدة في أعمال هؤلاء "أصحابُ المعاجم كالخليل بن أحمد الفراهيدي"حينما فكّروا في إنشاء هذه المنصّات اللّغوية إيمانا منهم بحتميّة التغيّر اللّغوي، وتصريحاً منهم بالحافز الّذي كانَ يستنفرهم لوضع معاجمهم خشية تشتت الأصل اللغوي الفصيح واندثاره، حفاظا منهم على منظومة التراث العربي.

أنكر بعض المتحاملين فضيلة السبق في ميدان المعجم، وذهبوا إلى أن العرب مقلدون غير مبتكرين، وأنّ الخليل وضع خطة أول معجم في العربية ،وهو معجم العين، ورتبه على مخارج الحروف بالضبط كما يرتب الهنود حروف لغتهم، آخذا ترتيبه من السنسكريتية، نجد الأستاذ جرجي زيدان إذ يقول:"الخليل أسبق العرب إلى تدوين اللغة وترتيب ألفاظها على حروف المعجم قبل سيبويه والأصمعي وسواهما من الأدب والنحاة، فله فيها كتاب سماه كتاب العين جمع فيه ما كان معروفا في أيامه من ألفاظ اللغة وأحكامها وقواعدها وشروطها ورتب ذلك على حروف الهجاء، لكنه رتب الحروف حسب مخارجها من الحلق فاللسان فالأسنان فالشفتين، وبدأ بحرف العين وجعل حروف العلة في الآخر، وإليك ترتيبه: (ع ح ه خ غ ق ك ش ص ض س ز ط د ت ظ ذ ث ر ل ن ف ب م وا ى ء)، فكان الخليل قد حذا بذلك حذو الهنود في ترتيب حروف لغتهم السنسكريتية، فهم يبدأون بأحرف الحلق ينتهون بالأحرف الشفوية " (جرجي زيدان 2012)، لكن أكثر الباحثين كعبد الله درويش وأحمد عبد الغفور وعدنان الخطيب يميلون إلى رفض هذا القول بحجة أن الخليل لم تكن له معرفة باللغة السنسكريتية، وعدم اتفاق اللغتين العربية والهندية في الترتيب، إضافة إلى عدم وجود معجم معروف للهند في ذلك الوقت، وأعجمي آخر هو المستشرق الإنكليزي "جون هاي وود"يشير إلى احتمالين فيقول :"ربما كان اليونان هم الذين أعطوا العرب فكرة المعجم، وكان الهنود هم الذين أعطوهم الأبجدية الصوتية وبعض الأفكار المعجمية الأخرى." (كارل بروكلمان 1977)، ويؤكد في المقام نفسه أن معاجم الهنود لم تظهر إلا في القرن الثاني عشر، وهي مرحلة أنتج فيها العرب بعض معاجمهم العظيمة.

ومهما يكن من أمر هذا السبب فإنه من الثابت أن الخليل أول من اشتغل بالصناعة المعجمية، آخذا في ترتيبه بمبدأ تصنيف الكلام على أبواب مشهورة، مبتكرا لفكرة في المنهج والترتيب، وبهذا ومثله تتأكد أسبقية الخليل في تنظيم المعاجم على حروف قام هو باكتشاف مخارجها، وأنه أول من نهج مسالك جديدة في علم العربية، قبل أن تكون الألسن الأوروبية الحالية شيء من ذلك يذكر، باعتراف علماء الغرب أنفسهم، (كارل بروكلمان 1977) والخليل بهذا الفعل يحرز قصب السبق في الدراسة اللغوية العامة بقسميها : علم المفردات[lexicologie]، وفن الصنافة المعجمية [lexicographie]، اللذين يعدان من أهم ركائز الدراسة المعجمية المعاصرة، وأغلب محاور الدرس اللغوي الحالي تدور فيهما، سواء تعلق الأمر بالقديم أم بالحديث على حد سواء.

والتساؤل الّذي نطرحه في هذا السياق: **ما المُعجم؟ وما دو افع تأليفه؟**

2. تعريف المُعجم

1.2. التّسميةُ: يرى كثير من الدّارسين أن كلمة (مُعجم) أوّل من أطلقها هُم علماء الحديث النبوي الشّريف في القرن الثالث الهجري، وكانت تُستخدم للدّلالة على كتب الرّجال وطبقاتهم في هذا العلم الّذي اختصّ بالحديث النبويّ الشريف سندا ومَتْناً ورواية، وندكر من أمثال هؤلاء على سبيل الذّكر لا الحصر:

أ- مُعجم أبي يعلى بن المثنى المُوصلي (ت307ه)، في تراجم شيوخه.

ب- أبو القاسم عبد الله بن محمد البَغَوِيُّ (ت317ه)؛ مُعجم الصّحابة.

ت- أبو القاسم الطبراني (ت 360ه)؛ المُعجم الكبير.

ثمّ انتقلت التسمية إلى ترجمة علماء القراءات وطرق قراءاتهم، ونُمثّل بذلك لثلاثية أبو بكر النقاش (ت351ه)؛ "المُعجم الأصغر"،"المُعجم الأوسط"،"المُعجم الأكبر"، ونجد استعمالا لها بعد ذلك تؤرّخ لتراجم الشّعراء عند المرزباني محمد بن عمران (ت384ه) في كتابه (مُعجم الشعراء)، وعن طريقة المُحدّثين أخد أهل اللّغة الفكرة وشرعوا يؤسّسون معاجم في اللّغة مُرتّبة على حروف الهجاء، حيث نجد صاحب المقاييس أحمد بن فارس (ت390ه) يطلق على كتابه "مُعجم مقاييس اللغة"، وفي العصر نفسه يُتابعه أبو هلال العسكريّ (ت395ه) صاحب الصّناعتين في معجمه "المُعجم في بقيّة الأشياء مع ذيل أسْماء بقيّة الأشياء "وانتقلت الفكرة واستخدمها عُلماء البلدان والأمصار، وكان أوّل من استخدمها هُو أبو عُبيد البكري الأندلسي (ت487ه) في كتابه "مُعجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع"وعلى نهجه سمّى ياقوت الحموي (ت626ه) كتابه الجغرافيّ الضّخم "مُعجم البلدان"[3] (شوقي ضيف 1984)، وهكذا أصبحت كلمة المعجم بعد ذلك كلمة تُطلق على الكُتب المُرتبة على حروف الهجاء تخدمّ فنّا أو علما مُعيّنا.

2.2 المعنى اللُّغوي:

إنَّ المُتأمّل في المَدْلُولِ اللّغوي لمادّة (ع-ج-م) في المعاجم اللغويّة سيرى أنّها لا تُسايِرُ المقصودُ من الدّلالة الأصلية الّتي وُضع مِن أجلها المُعجم، فهي تتّفق في مُجْمَلِها على مدلول واحدٍ ألا وَهُوَ: الإبهامُ والغموض والإخفاء والّذي ضدّه البيانُ والإفصاحُ، ولنضرب مثالاً يدعّم ما نذهب إليه؛ فعلى لسان ابن منظور الإفريقي في لسانه قائلا:"وَالْعُجْمُ والْعَجَمُ خلالَ العُرْبِ والعَرَبِ، ويُقال عجميّ وجمعه عَجَمٌ وخلافه عربيّ وجمعه عَرَبٌ ورجل أَعْجَمٌ وقَوْمٌ أَعْجَمٌ، والْعُجْمُ جمعُ العَجَمِ فكأنّهُ جمعَ الجمع، وكذلك العُرْب جمع العَرَب، يُقال هؤلاء العُجْمُ والعُرْبُ"(ابن منظور، مادّة عجم)، فأينَ الرّابطُ المعنويّ ؟

إجابة عن هذا التساؤل نقول إنَّ الوَزْنَ (أَفْعَلَ / أعْجَمَ) يأتي في غالبِ الأمر للدّلالةِ على الإثباتِ والإيجاب فتقولُ: أكرمتُ صديقي؛ وتعني أنّكَ أَوْجَبْتَ لهُ الإكرامَ، لكن هذا الوَزن قد يُرادُ به السّلب أحيانا، أي أنَّ همزة (أَفْعَل) قد تقلب معنى (فعل) إلى ضدّه نحو: أشْكَلْتُ الكتابَ؛ أي أَزَلْتُ إشْكالَهُ، وإعجامُ الكتابِ يعني نقطهُ وإزالةُ استعْجامه، والإعجامُ هُوَ تنقيطُ الحروفِ للتمييزِ بين المُتشابهة منها في الشّكل، ومن هذه الدّلالة جاءت تسميةُ الحروف الهجائية بحروف المُعجم، نظراً لكون النّقط الموجودِ في كثيرٍ منها يُزيلُ التباسها، ومن هذه الدّلالة أيضا جاءت تسمية الكِتاب الّذي يُزيلُ معاني الكلماتِ بعضها ببعضٍ، وغموضها بالمُعجم [4] (إيميل بديع يعقوب 1985)، وقد أَوْرَدَ لنا الخليلُ مفهوماً أثناء عرضه لمادة (ع-ج-م) يوضّح المقصود من دلالة "مُعجم "حينما قالَ :"وَتَعْجيمُ

الكِتابِ تنْقيطُه كيْ تسْتَبينَ عُجْمَتُه ويصحّ."(الخليل بن أحمد الفراهيدي، مادّة عجم) وهُوَ ما ذهب إليه بعد ذلك ابن جنيّ أثناء عرضه للمادّة نفسها (ع.ج.م)؛ أنّ مُشتقاتها تدلّ على الضّد وهُوَ ما تطرّقنا إليه في الفقرة السابقة.

3.2. المعنى الاصطلاحيّ:

يُعرّفه عليّ القاسميّ بأنّه "كتابٍ يحتوي على كلمات مُنتقاة تُرتّب عادة ترتيبا هجائيا، مع شرحِ معانيها ومعلومات أخرى ذات علاقة بها سواء أعطيت تلك الشّروح باللّغة ذاتها أم بلغة أخرى" (علي القاسمي 1991)، ويذهبُ عُمر مدكور إلى أنّ المعجم: "كتاب يضمّ مُفردات لغة ما مُشيرا إلى جوانب مُختلفة منها: التهجي، النطق، الدّلالة، الاستعمال، التّرادُف، الاشتقاق، التركيب" (عمر مدكور 2008). ويورد أحمد عبد الغفور تعريفا جامعا للمُعجم، فيقول إنّه "كتاب يضمّ أكبر عدد من مفرداتِ اللّغة مقرونة بشرحها وتفسير معانيها، على أن تكون المواد مُرتّبة ترتيبا خاصّا، إمّا على حروف الهجاء أو الموضوع، والمُعجم الكامل هُوَ الّذي يضمّ كلّ كلمة في اللّغة مصحوبة بشرح معناها واشتقاقها وطريقة نُطقها، وشواهد تُبيّن مواضع استعمالها "[5] (عبد الغفور العطّار 1979).

من خلال ما تقدّم معنا من هذه التعريفات، يتضّح لنا أنّ المُعجم يقتضي الشروط الآتية:

أ- الكَمْ: يُقصد به عدد الكلمات. وهو شرط ضروري.

ب- طريقة الترتيب.

ت- منهج المعالجة: طريقة شرح المفردة .

وهذه الشروط إذا ما تحققت فإنّها تُعين الباحث على الوصول إلى مُراده.

3. مراحل التأليف المُعجميّ

1.3 غريب القُرآن:

كانت النّواة الأولى لِتأليفِ المَعاجِم هو التأليفُ في غريبِ القرُآن، بإيضاحِ الغامض والمُبهم من الكلام، وغريبُ القرآنُ هُوَ مبحثٌ لغويّ متخصّص يقومُ بتفسيرِ الألفاظِ الغامضة في القرآنِ الكريم، وذلك بتوضيحِ معانيها بما جاءَ في لغة العربِ وكلامهم فالغريبُ القرآنيّ توصيفاً هُو : تلكَ "الألفاظ القرآنية، التي يُبْهَم معناها على القارئ، والمفسر ؛وتحتاج إلى توضيح معانيها، بما جاء في لغة العرب، وكلامهم "[6](مكي أبي طالب القَيْسي 1984)، وهذا المبحث العلميّ من التفسيرِ اللّغوي يُنسَبُ للصّحابي الجليل عبد الله بن عبّاس رضي الله عنهما، وله كتابٌ في غريب القُرآن يُفسّر اللّفظة القرآنية بما عهدته العرب في كلامها ويُرجعها إلى لغة من لغات العرب المشهورة لكن هذا الكتاب لم تُثبَتْ نِسْبَتُهُ إليه وهُوَ المشهور بين أوساط الباحثين أصحاب الاختصاص والقرّاء بـ: (اللّغات في القرآن).

إضافة إلى هذا التفسير اللّغوي الّذي يرجع اللفظة القرآنية إلى لغة من لغات العرب، فقد عُرِفَ عنِ ابنِ عبّاس أيْضا اهتِمامَهُ بِتَفسيرِ الألفاظ الغريبة في القرآنِ، وتوضيح مَعْنَاها معَ ذكرِه لبعضِ الشّواهِد الشّعرية عليها ولعلّنا نجد ذلك ما حدّثنا به السّيوطيّ في كتابه "الإتقان في علوم القرآن" في المسائل المشهورة المُسمّاة بمسائل نافع بن الأزرق مع ابن عبّاس، حيثُ كان يُسألُ عن ألفاظ القرآن وغريبه فيلتَمِسُ تفسيرها من الشّعر، وعلى هذا النّهجِ سار كثير من العلماء يؤلّفون على هذا النّظامِ، ولعلّنا نذكر منهم تمثيلاً:

1- أبُو سعيدٍ البِكري(.ت141ه).كِتابًا في غريبِ القرآن.

2- الفرّاء (ت207ه) في : معاني القرآن.

3- ابن قتيبة (ت276 ه) في : غريب القرآن.

4- العُزَيْزِي (ت330هـ) في : نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن.

5- الزجّاج (ت311هـ) في : معاني القرآن.

6- الراغب الأصفهاني (ت في حدود : 425هـ) في: مفردات ألفاظ القرآن.

7- الرازي (ت بعد 666 هـ) في: روضة الفصاحة في غريب القرآن.

8- أبو حيان الأندلسي (ت745هـ) في: تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب.

9- المارديني (ت750هـ) في : بهجة الأريب في تفسير الغريب.

10- ابن الهائم (ت815هـ) في : التبيان في غريب القرآن.

ثُمّ تَبِعَهُم عَدد مِنَ العُلماءِ في التأليف في هذا المَجال ؛حَيْثُ الاقتصارُ على تَفْسير الألفاظ الغَريبَةِ في القُرآن فَقط وذِكْرِ بعض الأشعار المُؤيّدةِ لِمَعْنَاها[7] (أحمد عبد الله الباتلي 1992).

2.3 غريب الحديث:

يتنزّلُ غريبُ الحديث تدْوينا في المرتبة الثانية بعدَ غريب القرآن، فالانصراف العلميّ وقتها كانَ متوجّها لفهم القرآن وترتيله وتجويده وفهم آياته والعلم والعمل بهِ على غرار "الحديث "بوصفه مدوّنة مقدّسة مسموعة بطرق مختلفة يرويها رجال ثقات يصلُ سندهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم، وعلّة التأخر في الاشتغال والتدوين في الحديث؛ هي أن لا تختلط مسائله مع المسائل الكُبرى للوحي العظيم (القرآن)، أمّا المقصود بغريبِ الحديث فقد عرّفه ابن الصّلاح (ت643هـ) في مقدّمته المشهورة قائلاً :"هُوَ عبارة عمّا وقعَ في متون الأحاديث من الألفاظ الغامضة البعيدةِ من الفهم لقلّة استعمالها "(ابن الصّلاح 1974) ولعلّ ما يمكننا استخلاصهُ أنّ مُصطلح الغريب أينما وقع إنّما يُراد به؛ ما غَمُض عن الفهم واستعصى علمه وبيان مراده.

وقد اختلفت الآراء وتضاربت حول نسبة الأوَّليّة والأسبقية في التأليف في هذا الضّرب، فمنهم من نسبهُ إلى عبيدة معمر بن المُثنّى المعروف بعُبَيْد القاسم الهروي (ت210هـ) تبعا لابن الأثير، وإلى نسبته تذهب كثير الأقوال، ومنهم من نسبهُ إلى أبي عدنان عبد الرحمن بن عبد الأعلى على رأي ابن النّديم في فهرستِه. ومن جُملة ما ألّف في غريب الحديث على غرار الكتب المفقودة الّتي لم تصلنا مثل الغريب للمبرد صاحب الاقتضاب (ت286هـ)، والأنباري محمد بن القاسم صاحب إيضاح الوقف والابتداء (ت328هـ)، وابن دُريد صاحب الجمهرة (ت231هـ) نذكر هذه المؤلفات تمثيلا لا حصراً (حسين نصار 1993):

1- أبو عبيدة القاسم بنُ سلام الهَرَوِي (ت224هـ)، "غريبُ الحديث".

2- ابنُ قُتيبة الدَيْنَوَري (ت276هـ)، "إصلاح الغلط الواقع في غريب الحديث".

3- قاسم بن ثابت السرقسطي (ت:302هـ)، "الدلائل في شرح غريب الحديث".

4- أبو عمر الزاهد (345هـ)، "غريبُ مسند الإمام أحمد بن حنبل".

5- أبو الحسن عباد بن العبّاس (385هـ)، "مختصر غريب الحديث".

6- أبو سليمان الخطابي (388هـ)، "غريب الحديث".

7- أبو عبيدة القاسم بنُ سلام الهَرَوِي (ت401هـ)، "غريبُ الحديث".

8- الزمخشري (583هـ)، "الفائق في غريب الحديث".

9- ابن الأثير (ت:606هـ)، "النهاية في غريب الحديث والأثر".

3.3 الرّسائل اللغويّةُ:

وُجّهَتِ العِنايَةُ قَبْلَ أنْ تكُون هُناكَ مَعاجِمَ مُخْتَصّة ككِتاب "العَيْن"، إلى مُدوّناتٍ جامِعَة، يَلُمّ فيها المؤلّف نُتَفًا مِنَ الموضوُعات الّتي تتنَاولُ جَانِبًا مُعَيّنًا مِن مَوْضوُعاتٍ مُخْتَلِفة، تَمّ تَدْوِينُهَا على شَكْلِ رسائِلَ إفْرَادِيّة، ممّا أصْبَغَ عَلَيْها طابع دراسةٍ لُغَوِيّةٍ إحصائيّة وهُوَ مَا أُطْلِقَ عَلَيْهِ بَعْد ذلك في الدّراسات المُعجَمِيّةِ الحَديثَة بـ"الحقول الدّلالِية"، كان لها هِيَ الأخرى؛[أي: الرسائِلَ الإفْرَادِيّة] أثَرًا كَبيرًا في بِنَاءِ المُعْجَمِ اللّغوي العَربي، كَمَا كانَ نَواةً صَلْبَةً في صميم بنائهِ فيمَا بعْدُ، وعَلَيْهَا كانَ المعولُ في بِنَاءِ مَعاجِمَ مُدَوّنَة، رُسِمَ لها الهَدَفُ وَالمَنْهجُ مِنْ خِلالِ مُحَاوَلَتِهَا لِحَصْرِ ألفاظِ اللّغة، حَصْرًا شامِلاً في إطارٍ مَنْهَجِيٍّ وَاضِح استوعب فيه شَوارِدَ اللّغة.

وممّا وصَلنَا من الرّسائل الإفرادية نذكر[8] (ابن حويلي ميدني):

- ابنُ مَالِك الأعرابي عُمَر بْنُ كَرْكَرْة النُمَيْري، له :"خلقُ الإنسان"."خلق الخَيْل".و"النّوادر".
- أبو خَيْرَةَ الأعرابي العَدَوي، له: "الحشَرَات"
- أبو عَمْرو زبَّان بن العَلاء التّمِيمي(154هـ)، لهُ كتاب "النّوادر".
- أبو الْحَسَن النَّضْر بن شميل المَازِني التّميمِي(ت203هـ) لهُ "كتابُ السّلاح"،و"كتابُ المعاني"و"غريبُ الحديث"و"الأنْوَاء".
- الأصمعي عبْدُ المَلِك بن قَريب، نُسِبَ إلَيْهِ :"كتاب المسير"، و"كتابُ الإبل"و"كتابُ الأضداد"، و"النّخل والكرم"، و"الشّاء"، و"النّباتُ والشّجر"و"كتابُ الأنواء". كانَ يجمَعُ المُفردات في كتابٍ واحد، ويُسمّيها "كِتابًا".

كما وُجِدَت فيه رسائلَ كانت تُسَمّى باسمِ الحرْفِ الّذي يجْمَعُ بَيْنَ المُفردَاتِ ويَنْتَظِمُهَا مثل كتاب الجيم لأبي عَمْروٍ الشّيْبَاني، وكِتَابُ الهُمَزْ لأبي زَيْدٍ الأنصاري، وظهور رسائِلَ في الأضداد ؛ وهي رسائلَ تَجْمَعُ المفردات، التي تُسْتَعْمَلُ كُلّ واحِدَةٍ مِنها للدّلالةِ على المعنى وضدّه، ومِنْ هذا القَبِيل كتابُ المُثّلثات لِقُطْرُبْ_محمّد بن مُستَنير البصري؛ وهوَ كِتَابٌ يَجْمَعُ المُفردات.

4. أسباب التأليف المُعجمي:

1.4 أسبابه:

إنّ المُتتبّع لحركية التأليف في الجانب المُعجميّ سيُلاحظ تأخّر العربِ في هذا الجانب مُقارنةً بالشّعوب القديمة الّتي أسّست حضارات قبلهم، حيث سبقهم الأشوريّون والصّينيّون واليونان والرُومان في هذا المضمار، وهذا راجعٌ إلى أسبابٍ وعوامل عديدة من بينها انتشارُ الأميّة، فالّذين كانوا يعرفون القراءة والكتابةَ قبل الإسلامِ قليلون، إضافةً إلى طبيعةِ حياتهم الاجتماعيّة القائمة على الغزو والانتقالِ من مكانٍ إلى آخر، ولعلّ الغاية الّتي دفعت العرب إلى تأليف ما يُسمّى بالمعاجم، ترجع إلى أسباب عديدة يمكننا تمثّلها في هذه الأسباب الآتية :

1.1.4 سبب دينيّ:

إنّ كانَ العرب لم يعرفوا المعاجم قبلَ العصر العباسي كما تقدّم معنا في أوليّة وضع المعاجم في الفقرة السابقة، فلا شكّ أنّ الفكرة المُعجميّة كانت تُراودهم مُنذ أن بدأوا يشرحون القرآن مُحاولين تفسير ما استُغلق

عليهم من ألفاظه ومعانيه الجليلة ومُحاولات ابن عبّاس رضي الله عنها خير دليل (إيميل بديع يعقوب،1981)، ويُمكننا القول إنّ التفكير لدى المسلمين كان جادّا بعد توحيدِ القرآن الكريم نحو إيجاد ضوابط تحفظ لسان القارئ من الخطأ في قراءته، وهُوَ في هذا المقامِ لا يقتصرُ على الدّافع الدّيني فقط بل يتعدّاهُ إلى الدّافع اللّغوي المتّصل بالنّص لإدراكِ وفهمه بصورة صحيحة [9](زهير غازي زاهد 2010)، وهُو ما جعلهم يُنتجون مؤلّفات اختصّت بشرح المفردة القرآنية الّتي لم يألفها اللّسان العربيّ من قبل.

1.4. 2 سبب معرفيّ:

من جملة الأسبابِ الّتي دعت العرب إلى تأليف المعاجم، نجدُ السبّب المعرفيّ حيث إنّ مدلول الكلمة لا يستقرّ في ذهن العربيّ إلا بعد تفحّص عميق لمصدرها واستعمالها ومعانيها، ضمن سياقات معرفيّة مخصوصة، ولعلّ الدافع المعرفي تُفصح عنه هذه النقاط الآتية [10](أحمد عبد الله الباتلي 1992) :

1-إمكانية تفسيرِ الألفاظ الغريبة أينما وردت، وفهم مفرداتها الغامضة الموجودة في الأشعار، والنّصوص النّقدية المروية عن العرب الفصحاء.

2-ضبطُ الكلمات الصّعبةِ بالشّكل والتعريف بنطقها الصحيح، واستعمالاتها النطقيّة المتباينة، من خلال تحديد بعض المناطق الجغرافية والتعريف بها.

3-حفظُ المادّة اللّغوية الفصيحة ومفرداتها كالشّواهد الشّعريّة المرويّة عن بعض الشّعراء الّذين لم تُدوّن قصائدهم.

1.4. 3 سبب قَوْمِيّ:

من السنن الكَوْنيّة اختلاط الألسن ببعضها، والحضارة العربيّة كباقي الحضارات شهدت هي الأخرى هذا الاختلاط والاحتكاك الألْسنيّ باعتبار الأمم المجاورة لها، نتج عنه مجموعة ألفاظ لم يكن للعربِ عهد بها في مُختلف مناحي الحياة، حيث أدّى اتّساع رقعة الدّولة الإسلامية بعدَ الفتوحات الّتي شهدتها إلى ظهور مفردات جديدة، وهُوَ الأمر الّذي دفع أهل الاختصاص من الطّبقة السّياسية والثقافية إلى ضرورة إيجاد حلّ يضبطُ هذا الواقع السوسيوثقافي إن صحَّ التعبير.

5. الأبعاد الوظائفية للتأليف المُعجمي:

إنّ المهمّة المنوطة بهذه الدّواوين الفكريّة الثقافيّة الموسوعيّة الّتي أصحبت تُلقّب بالمعاجم يتمثّل في خدمتها الشّاملة للغة ومفرداتها وأشكال دلالاتها المُختلفة باختلاف مستعمليها وسياقاتهم الكلامية، فالمعاجم "خزائن اللّغة الّتي يستمدّ منها الإنسان حصيلته اللّغوية"[11] (أحمد معتوق 1992)، وفي هذا المقام التداوليّ نستنبطُ حُكما أنّ وجودَ الإنسانِ مُتراهن مع تولّد الحاجاتِ وأنّ سدّ الحاجاتِ مُتعذّر خارج حُدودِ اللّغة. وحدود اللّغة كمُصادرة افتراضيّة في تعدّدها وتراكمها تستظهره هذه المعاجم بجعل اللّغة مِرآةً لحدود الأشياءِ، بجمع مفردات اللّغة وتخزينها، وشرحِ معانيها وبيان حقائقها، إذ لا سبيلَ إلى معرفةِ حقائق الأشياءِ إلا بتَوَسُّطِ اللّفظِ، فتقوم المعاجم ببيان خاصّية الكلمات من خلالِ "ضبطِ اللّفظة ضبطاً صحيحا في أصلها وتصاريفها ومعرفة كونها مهجورة أم مستعملة، عامية كانت أم فصيحة"[12] (عبد القادر أبو شريفة 1979)، وكيفية كتابتها وإجراءاتُ نُطقها على مُقتضى اللّسان في لغاتِ العرب المشهورة نثراً كانت أم شِعراً.

6. الخاتمة:

إنّ أهمّ الاستنتاجات الّتي توصّل إليها هذا البحث في دراسته لأوّليّة التأليف المُعجمي عند العرب يمكننا ذكرها كالآتي:

1- لا بُدّ لكلّ أمّة من ديوان يحفظ لها ألفاظها لأنّ هذه الأخيرة هي تأريخ لحضارة ثقافيّة أسهمت فيها أمّة مِنَ الأمم بشكل وظيفي في حفاظها على لغتها بوصفها هُوية.

2- الجهد المُعجميّ العربيّ هُو بناء ذاكرة لغويّة ترصد الألفاظ متى وُلِدت وكيف استُعمِلت أو أُهمِلت وكيف تغيّرت دلالتها.

3- التأليف المُعجمي عند العرب مبعثه حماية تراث الأمّة اللّغوي والفكري للارتقاء بالعربيّة في بُعد حضاريّ.

4- إنّ المُتأمّل في البِناء المَنهجيّ الّذي قامت عليه المعاجم العربيّة سيلاحظ أنّها تأسّست على مادّة معرفيّة سعت إلى وصف العربيّة، وكيفيّة استعمالات اللّفظ وتنوّعاته من لغة إلى أخرى.

5- الملاحظ لأوليّات التأليف المعجميّ عند العرب سيكتشف الوعي العلميّ الّذي امتاز به أهل هذه الصّناعة الّتي تميّزت بها الحضارة العربيّة، من سبقٍ منهجيّ مثل إفراد الموضوعات وتنظيم المداخل وترتيبها وفق منهج معيّن.

7. قائمة المصادروالمراجع:

1: أحمد محمد المعتوق، الحصيلة اللغوية، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة-الكويت، 1992.
2: أحمد عبد الله الباتلي، المعاجم وطرق ترتيبها دار الراية، الرياض، ط1، 1992.
3:أخضر مِيدني بن حُوَيْلي، المُعجم اللّغوي من النّشأة إلى الاكتمال، دار هومة-الجزائر، 2003.
4:إيميل يعقوب، المعاجم اللغوية العربية بداءتها وتطوّرها، دار العلم للملايين-بيروت،ط2، 1985.
5: أحمد عبد الغفور ،الصّحاح ومدارس المعجمات العربية، دار العلم للملايين، 1967.
6: جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: فوّاز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان،
7: حسين نصار، المعجم العربي؛ نشأته وتطوّره، دار مصر للطباعة-القاهرة،ط4، 1988.
8: خليل بن أحمد الفراهيدي، العين ،105/3. مادة :(ع-ج-م).
9: زهير غازي زاهد، موضوعات في نظريّة النحو العربي، دار الزمان، سوريا، ط1، 2010.
10: سلوى النجار، الجُرجاني أمام القاضي عبد الجبار، دار التنوير،لبنان،ط1، 2010.
11: عبد القادر أبو شريفة وآخرون، علم الدّلالة والمعجم العربيّ، دار الفكر، عمان،ط1، 1979.
12: عثمان ابن جنّي، سر صناعة الإعراب، تح: علي النجار، دار الكتب العلمية-بيروت-2000.
13: علي القاسمي، علم اللغة وصناعة المعاجم، مطابع جامعة الملك سعود-الرياض،ط2، 1991.
14: علي بن حزم الأندلسيّ، التقريبُ لحدّ المنطقِ والمدخلُ إليهِ، تحقيق: إحسان عباس، بيروت-لبنان، 1959.
15: عمر مدكور، الدّلالة في المُعجم العربيّ، دار البصائر،ط1، القاهرة، 2008.

16: عيد محمد الطيّب، المُعجمات اللّغوية ودلالات الألفاظ، دار الزهراء للنّشر والتوزيع، الرياض، ط1، 2007.

17:عبد السلام المسدي، التفكير اللّساني في الحضارة العربية، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2018.

18:عثمان بن الصلاح، مقدّمة في علوم الحديث، تح: عائشة عبد الرحمن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974.

19:كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، تحقيق: عبد الحليم النجار، رمضان عبد التواب، دار المعارف، 1977.

8. الهوامش:

1- سلوى النجار، الجُرجاني أمام القاضي عبد الجبار، دار التنوير، لبنان، ط1، 2010، ص: 166.

2- عيد محمد الطيّب، المُعجمات اللّغوية ودلالات الألفاظ، دار الزهراء للنّشر والتوزيع، الرياض، ط1، 2007، ص: 08.

3- شوقي ضيف، مجمع اللغة العربية في خمسين عاما، مجمع اللغة العربية، مصر، 1984، ص: 141، 140.

4- إيميل يعقوب، المعاجم اللغوية العربية بداءتها وتطوّرها، دار العلم للملايين-بيروت، ط2، 1985، ص: 12، 11، بتصرف.

5- يُنظر، أحمد عبد الغفور عطار، مقدمة الصحاح، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1979، ص: 37.

6- مكيّ بن أبي طالب القيسي، العُمدة في غريبِ القرآنِ، تحقيق: يوسف المرعشلي، مؤسسة الرسالة، القاهرة، ط2، 1984، ص: 15.

7- أحمد عبد الله الباتلي، المعاجم وطرق ترتيبها دار الراية، الرياض، ط1، 1992، ص: 28، 31

8- ابن حويلي ميدني، المُعجم اللّغوي من النّشأة إلى الاكتمال.

9- زهير غازي زاهد، موضوعات في نظريّة النحو العربي، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 2010، ص: 16.

10- الباتلي، المعاجم اللغوية وطرق ترتيبها، ص: 15، 13.

11- أحمد محمد المعتوق، الحصيلة اللغوية،، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب-الكويت، 1992، ص: 192، بتصرّف.

12- عبد القادر أبو شريفة وآخرون، علم الدّلالة والمعجم العربيّ، دار الفكر، عمان، ط1، 1979، ص: 115، 114.